

بسم الله الرحمن الرحيم

## رياض الصالحين

شرح حديث جابر رضي الله عنه - "مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّْي؟ قُلْتُ: اللَّهُ"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا هو الحديث الخامس مما أورده الإمام النووي رحمه الله - في باب اليقين والتوكل، وهو حديث جابر رضي الله تعالى عنه - أنه غزا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قِبَلِ نَجْدٍ، فلما قفل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قفل معهم، فأدركتهم القائلة في واد كثير العِضَاهِ...<sup>(١)</sup>.

غزا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - قِبَلِ نَجْدٍ، المشهور أن هذه الغزوة هي غزوة ذات الرقاع، وقيل لها ذات الرقاع؛ لأن أقدامهم تتقبت - وهم في ضعف وحاجة وفقر - فصاروا يلفون الخرق على أرجلهم، لينتقوا بها الأرض، وبعضهم يقول: قيل لها ذات الرقاع؛ لأنهم رقعوا الرايات في تلك الغزوة، وبعضهم يقول: لأنهم نزلوا عند جبل كانت الأرض حوله ذات ألوان، فكأنها رقاع، وقيل غير هذا، والمقصود: ما وراء أرض الحجاز في جزيرة العرب.

قال: "فلما قفل" يعني: رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يقول جابر رضي الله عنه -: "فأدركتهم القائلة في واد كثير العِضَاهِ"، أدركهم منتصف النهار، وقت القيلولة في واد كثيرة العِضَاهِ، والعِضَاهُ هو الشجر الذي له شوك.

يقول: "فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت سَمْرَةَ"، والسَمْرَةُ هي شجرة كبيرة من العِضَاهِ، فكانوا يتركون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - الشجرة التي تكون وافرة الظل، فعلق بها سيفه - صلى الله عليه وسلم -.

يقول: فمنا نومة فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوننا، وإذا عنده أعرابي، والأعرابي المقصود هو من سكن البادية.

فقال: ((إِنْ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ))، قيل: اسمه غورث بن الحارث، جاء فوجد النبي - صلى الله عليه وسلم - تحت هذه الشجرة نائماً، فأخذ السيف فاستلته، ثم استيقظ النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو في يده صِلْتًا، يعني: أخرجه من غمده.

قال: من يمنعك مني؟، قلت: ((الله، ثلاثاً))، يحتمل أنه سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات، من يمنعك مني؟، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: الله، ثلاث مرات، ويحتمل أن يكون قال: من يمنعك مني؟، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -، الله، الله، الله، تأكيداً.

<sup>١</sup> - أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (٤/١٥١٥)، رقم: (٣٩٠٥)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب توكله على الله تعالى، وعصمة الله تعالى له من الناس (٤/١٧٨٤)، رقم: (٨٤٣).

وهذا هو الشاهد في الحديث، قوة يقين النبي -صلى الله عليه وسلم- بكفاية الله -تبارك وتعالى- له، لأن هذا موقف يهتز فيه الإنسان، ويصيبه الذعر والخوف، فليس عنده أحد يحميه، وهذا الإنسان بيده السيف، والنبي -صلى الله عليه وسلم- أعزل ليس معه شيء، ومع ذلك يقول له بكل ثقة: الله، فهذا فيه كمال اليقين مع كمال التوكل والتفويض إلى الله -تبارك وتعالى-، يقول: ولم يعاقبه، فجلس.

يقول: وفي رواية قال جابر: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ذات الرقاع، هنا جاء مصرحاً باسم الغزوة، وهي ذات الرقاع.

يقول: فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- احتراماً وتوقيراً وإيثاراً ومحبة، يقول: فجاء رجل من المشركين، وهذا الرجل قيل هو من بني محارب، من نفس القوم الذين غزاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فكأنه أراد أن ينتقم.

قال: فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- معلقاً بالشجرة، فاخترطه، فقال: تخافني؟، قال: لا، فقال: فمن يمنعك مني؟، قال: الله<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية قال: من يمنعك مني؟ قال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: ((من يمنعك مني؟))، فقال: كن خير آخذ.

هذا الرجل غير مؤمن، وليس عنده ثقة بالله -تبارك وتعالى-، ولو كان فيه إيمان ما اعتدى على رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، قال: كن خير آخذ، فقال: ((تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟)) قال: لا، ولكنني أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فحلى سبيله، فأتى أصحابه فقال: جئتم من عند خير الناس<sup>(٣)</sup>.

لاحظوا أثر العفو، كيف غمره هذا الإحسان؟ فهذا الأعرابي كان يقدر المعروف، فقال: جئتم من عند خير الناس.

المقصود أن هذا يدل على كمال يقين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وثقته بكفاية ربه -تبارك وتعالى- له، مع شدة توكله على الله -عز وجل-.

وهذه مرتبة عالية جداً، حتى الخوف الطبيعي لم يساور رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن الإنسان إذا رُفِعَ عليه السيف فإنه يخاف خوفاً لا يلام فيه، هذا الخوف الطبيعي كخوف الإنسان من الأسد، أو خوفه من السلاح، أو نحو ذلك، فهذا لا يؤثر في إيمان الإنسان، لكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يتأثر بهذا ولم يخف، ولم يهتز، ولذلك يقول عليٌّ -رضي الله عنه- وهو من أشجع أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-: كنا إذا حمي الوطيس نتقي أو نلوذ برسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

<sup>٢</sup> - أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (١٥١٥/٤)، رقم: (٣٩٠٦)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف (٥٧٦/١)، رقم: (٨٤٣).

<sup>٣</sup> - أخرجه أحمد (١٩٣/٢٣)، رقم: (١٤٩٢٩).

فكانوا يذهبون يختبئون وراء النبي صلى الله عليه وسلم- إذا اشتد الضرب في الحرب، واحمرت العيون، يلوذون به -عليه الصلاة والسلام-، لشدة ثباته.

وفي غزوة حنين كان على بغلة لا تحسن الكر والفر، ولما انهزم أصحابه ولم يبق معه إلا نحو عشرة رجال ثبت -عليه الصلاة والسلام- ذلك الثبات العظيم، والسهام والنبال كأنها مطر تزعزعه الريح من كثرتها، فكان -عليه الصلاة والسلام- يستقبل العدو بوجهه ويقول: **((أنا النبي لا كذب، أنا عبد المطلب))**(<sup>٤</sup>).

يعلن ذلك أمام الناس يريهم شخصه -عليه الصلاة والسلام-، فيرونه ويستهدفونه ومع ذلك هو في هذا الثبات الشديد، ويأمر العباس أن ينادي: يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة.

فهذا نبينا وقدوتنا -عليه الصلاة والسلام-، فحريٌّ بنا أن نقتدي به في أعماله الظاهرة، وفي أعماله الباطنة، في كمال يقينه وتوكله، وصدقه وإخلاصه، وإقباله على ربه في أموره كلها، ووثوقه بما عند الله -جل جلاله-، وفي تعبدته -عليه الصلاة والسلام-، مع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك كان يقوم الليل حتى تنفطر قدماه -عليه الصلاة والسلام-.

فلئن اقتدى الناس بشياطين الإنس والجن فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو قدوة المؤمن، عندنا فيه كفاية في كل مجال من المجالات، في الشجاعة، والقيادة، والإدارة، وفي تدبير أمور الأسرة، وفي دماثة الخلق، وملاطفته لأصحابه وللصغار والكبار، وتفقدته لهم، وصلته -عليه الصلاة والسلام-، وما إلى ذلك. أسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا ممن يتبعه ظاهراً وباطناً، وأن يحشرنا تحت لوائه -عليه الصلاة والسلام-، وأن يسقينا من حوضه شربة لا نظماً بعدها أبداً، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.

---

<sup>٤</sup> - أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: {ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين} (١٥٦٨/٤)، رقم: (٤٠٦٢)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين (١٤٠٠/٣)، رقم: (١٧٧٦).